**الإشَارَةُ إِلَى مَا فِي القُرْآنِ مِنْ بَرَاهِينِ التَّوْحِيدِ وَصِدْقِ الرِّسَالَةِ**

**مِنْ كِتَابِ فَتْحِ الرَّحِيمِ المَلِكِ العَلَّامِ فِي عِلْمِ العَقَائِدِ**

**وَالتَّوْحِيدِ والأَخْلاقِ والأَحْكَامِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنَ القُرْآنِ**

**لِلْشَيْخِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ**

**إِعْدَادُ مَوْقِعِ دَارِ الإِسْلامِ**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسَلِّم تسليمًا.

أما بعد: فإنَّ القرآنَ الكريم كلامُ رب العالمين، هو أعظم أبواب الهداية وأجلُّ سبل الفلاح. أنزله الله على عباده هدىً ورحمةً وبشرى، وضياءً ونورًا، وذكرى للذاكرين، جمع فيه سبحانه العلوم النافعة والمعاني الجليلة الكاملة، والترغيب والترهيب، والأصول والفروع، والوسائل والمقاصد، والعلوم الدينية والدنيوية والأخروية، وجعله مرشدًا للعباد إلى كلِّ طريق نافع وسبيل قويم، يفرِّقون به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، ويهديهم إلى أقوم الأمور وأرشدها، وأنفعها في كلِّ شيء في العقائد والعبادات والآداب، ويرشدهم إلى كلِّ صلاح وفلاح ديني ودنيوي؛ بحيث تقوم به أمورُهم، وتزكو نفوسهم، وتعتدل أحوالهم، ويستقيم طريقهم، ويحصل لهم الكمال المتنوِّع من كلِّ وجه، فهو كتاب عِلم وتعليم تزول به الضلالاتُ المتفرقة والجهالاتُ المتنوعة، وكتاب تربية وتأديب تتحقق به الأخلاق الفاضلة والأعمال الكريمة.

ومن الكتب النافعة في بيان شيء مما في هذا القرآن العظيم كتاب: **فَتْحِ الرَّحِيمِ المَلِكِ العَلامِ فِي عِلْمِ العَقَائِدِ والتَّوْحِيدِ والأَخْلاقِ والأَحْكَامِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنَ القُرْآنِ** للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي، وقد تضمن هذا الكتاب فصلًا في الإشارة إلى ما في القرآن من براهين التوحيد وصدق الرسالة، ولأهمية هذا الفصل فقد رأى موقع دار الإسلام إخراجه ونشره.

وكانت طريقة العمل هي: **نقل كلام المؤلِّف دون أي إضافة أو تعديل؛ إلا وضع عنوان لكل برهان بين معكوفتين [ ]، وذكر بعض الأدلة من القرآن في الحاشية**([[1]](#footnote-1))**.**

ونسأل الله أن يجعله خالصا لوجه الكريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الإشارة إلى ما في القرآن من براهين التوحيد،**

**توحيد الأُلُوهية والعبادة**

لمَّا كان توحيدُ الباري أعظم المسائل وأكبرها وأفرضها وأفضلها، وحاجة الخلق إليه وضرورتهم فوق كلِّ ضرورة تُقدَّر، فإنَّ صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم متوقفة على التوحيد؛ نوَّعَ الله الأدلة والبراهين على ذلك، وكانت أدلته واضحات، وبراهينه ساطعات.

[البرهان الأول: اعْتِرَافُ الخَلْقِ كُلِّهِمْ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَازِقُ المُدَبِّرُ وَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فُقِيرٌ عَاجِزٌ]

فمِن أوضح أدلته وأجلاها؛ الاستدلال على ذلك باعتراف الخلق بَرِّهم وفاجرهم، إلا شِرذمة ملحدة، معطلة للباري. فالخَلق كلُّهم مسلمهم وكافرهم قد اعترفوا بأنَّ الله هو الخالق وما سِواه مخلوق، وهو الرازق ومن سواه مرزوق، وهو المدبِّر وما سواه مُصَرَّف مُدبَّر، وهو المالك وما سواه مملوك. فهذا يدل أكبر دلالة على أنَّه لا يَستحق العبادة سواه.

ولهذا يَستدل به على المشركين ويأخذهم باعترافهم كقوله: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)} [المؤمنون].وآيات كثيرة جدًّا فيها هذا المعنى، لأنَّه برهان واضح، ينقل الذهن منه بأول وَهْلة، بأنَّ مَن هذا شأنه وعظمته، أنَّه هو المنفرد بالوحدانية، المستحق للعبودية وإخلاصِ الدين له.

ومن براهين التوحيد: إخباره في عدة آيات أنَّ جميع ما يُعبد من دونه مخلوق، فقير عاجز، لا يستطيع نفعًا ولا دفعًا، ولا جَلْب خير لعابده، ولا وقاية شر، ولا ينصر من عَبَده ولا أنفسهم ينصرون.

ومن كان بهذه المَثَابة؛ فمن السَّفه والحمق الجنوني عبادته وخوفه ورجاؤه، وتعليق القلوب به، وإنَّما يجب تعليق القلوب بالغني المطلق، الذي ما بالعباد من نعمة ولا خير إلا منه، ولا يدفع المكاره إلا هو.

[البرهان الثاني: أنَّه لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلا هُوَ، ولا يَدْفَع السَّيِّئَاتِ إلا هُوَ، وهُوَ الَّذِي هَيَّئَ لِلْعِبَادِ جَمِيعَ مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، وَيَسَّرَ لَهُمْ الأَسْبَابَ]

**وهذا أيضًا برهان آخر:** أنَّه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، وهو الذي يجيب المضطرين، ويُنقذ المكروبين، ويكشف السوء عن المضطهدين([[2]](#footnote-2))، وهو الذي جعل لعباده الأرض قرارًا، وأجرى لهم فيها أنهارًا([[3]](#footnote-3))، وجعلها مِهَادًا مُهَيَّئة لجميع مصالحهم ومنافعهم، وأنزل من السماء ماءً فأنبت به حبًّا ونباتًا، وجنات ألفافًا([[4]](#footnote-4))، وأنبت به حبًّا، وعنبًا وقضبًا، وزيتونًا ونخلًا، وحدائق غُلبًا، وفاكهةً وأبًّا، متاعًا لكم ولأنعامكم([[5]](#footnote-5)) .

وهو الذي يطعم عباده ويسقيهم، وإذا مَرِضوا يشفيهم([[6]](#footnote-6))، وهو الذي يحيي ويميت، وإذا قضى أمرًا قال له كن فيكون([[7]](#footnote-7))، وهو الذي يُطعِم ولا يُطعَم([[8]](#footnote-8))، ويُجير ولا يُجار عليه([[9]](#footnote-9))، ويُغيث ولا يُغاث.

وهو الذي خلق الإنسان وعلَّمه الكتابة والبيان، وعلَّم القرآن، وجعل الشمس والقمر والكواكب للمصالح المتنوِعة والحسبان، والسماء رفعها ووضع الميزان، وأمر عباده أن يَسلُكوا طريق العدل، ولا يطغوا في الميزان.

وهو الذي مرج البحرين، هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أُجاج، ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا، وتستخرجون منه حلية تلبسونها، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون([[10]](#footnote-10)) .

وهو الذي سخَّر لعباده جميع ما في السموات والأرض، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة([[11]](#footnote-11))، وآتاهم من كلِّ ما سألوه([[12]](#footnote-12)) بلسان المقال ولسان الحال.

وهو الذي جعل لهم الليل لباسًا، والنهار معاشًا، {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)} [القصص].

وهو الذي خلق من الماء بشرًا، فجعله نسبًا وصهرًا([[13]](#footnote-13))، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا([[14]](#footnote-14)).

وهو الذي جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة([[15]](#footnote-15))، والقوى الظاهرة والباطنة.

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر([[16]](#footnote-16)).

وهو الذي بيده الملك والحمد، وبيده الخير، ويُعِز، ويُذِل([[17]](#footnote-17)) ، ويُعطي، ويمنع، ويقبض، ويبسط([[18]](#footnote-18)).

وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى([[19]](#footnote-19)).

وهو الذي جعل لعباده الأنعام، فمنها ركوبهم، ومنها يأكلون، ولهم فيها منافع ومشارب، وتحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون([[20]](#footnote-20)).

وهو الذي أوحى إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا، ومن الشجر ومما يعرشون.. الآيات([[21]](#footnote-21)).

وهو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات([[22]](#footnote-22)).

وهو الذي جعل لكم من بيوتكم سكنًا، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين([[23]](#footnote-23)) .

وهو الذي خلق لكم من الجبال أكنانًا([[24]](#footnote-24))، وجعل لكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا تتزينون به([[25]](#footnote-25)).

وهو الذي جعل لكم المساكن كِفاتًا أحياءً في الدور وأمواتًا في القبور، {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)} [البلد]، {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23)} [المرسلات].

ألمْ يتفضَّل بما هو أعظم من ذلك؛ بالنعم الدينية والأخروية التي هي السبب في السعادة الأبدية؟

ألم يمنَّ على المؤمنين بالإسلام والإيمان، ويبعث فيهم رسولًا يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويعلِّمهم ما لم يكونوا يعلمون؟ ([[26]](#footnote-26)).

ألم يُوَضح لهم الصراط المستقيم، ويُكمِل لهم الدين، ويمنَّ عليهم بالهداية التامَّة، هداية التعليم والتفهيم والإرشاد، وهداية التوفيق والعمل والانقياد؟

ألم يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور الإنابة إليه وذكره؟

ألم يُيَسِّرهم لليسرى ويجنِّبهم العُسرى؟

ألم يحبِّب إليهم الإيمان ويزيِّنه في قلوبهم، ويكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم من الراشدين فضلًا منه ونعمة، والله عليم حكيم؟ ([[27]](#footnote-27)).

ألم يعصمهم من موبقاتِ الآثام، ويحفظهم من فتن الشكوك والشبهات والأوهام؟

ألم يفتح لهم أبواب التوبة والرحمة، ويأمرهم بالأسباب التي يدركون بها رحمته وينجون بها من عقابه؟

ألم يجعل الحسنة بعشْر أمثالها إلى سَبعمائة ضِعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة، ومآلها العفو والصفح والغفران، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويأخذ الصدقات وأنَّ الله هو التواب الرحيم؟([[28]](#footnote-28))

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)} [الزمر]، {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)} [طه].

ألم يكن جانب فضله وكرمه ورحمته في جميع الأمور سابقًا وغالبًا: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» [متفق عليه]، وفي لفظ: «غَلَبَتْ».

فلِلْرحمة السبق والإحاطة والسعة، ولها الغلبة بحيث تضمحِل معها أسباب العقوبة كما تقدم في الحسنات والسيئات، وإنَّ العبد لو أفنَى عمره في المعاصي، ثم في ساعة واحدة قبل أن يغرغِر تاب وأناب؛ غَفَرَ له كلَّ ذلك وأبدل سيئاته حسنات.

وأنَّ أدنى مثقال حبة خردل من إيمان يمنع الخلود في النار، وأنَّ الكفار والفجَّار وأصناف العصاة يبارزون المولى بالمخالفات والعظائم، وهو يعافيهم ويرزقهم ويُدِرُّ عليهم النعم ويَسْتَعتبهم، ويعرض عليهم التوبة، ويُخبِرهم أنَّهم إن تابوا عفى عنهم وغفر لهم، حتى إذا ماتوا وهم كفار ولم يكن فيهم من الخير مثقال ذرة؛ وَلَّاهُمْ ما تولوا لأنفسهم ورضوا لها من الشقاء الأبدي.

وإذا كان جميع ما فيه الخلقُ من النعم والأفراح والمسرَّات أسبابها ومسبباتها، الظاهرة منها والباطنة، الدينية والدنيوية، كلُّها من الله، وهو الذي تفضَّل بها من غير سبب منهم، فإنْ حصل بعضُ الأسباب الواقعة من الخلق التي ينالون بها نعمه ورحمته، فتلك الأسباب هو الذي أعطاهم إياها، فمنه كلُّ شيء محبوب، وجميع الشرور والمكاره هو الذي دفعها ويسَّر دفعها.

فمن كان هذا شأنه العظيم وخيره الجسيم؛ أليس هو الذي يستحق أن يُبذل له خالص العبودية، وصفو الوداد، وأحق من عُبد، وأولَى من ذُكر وشُكر، فتبًّا لمن أشرك به من هو مضطر إليه في كلِّ أحواله، فقير في جميع أموره.

[البرهان الثالث: وَصْفُ المَعْبُودَاتِ مِنْ دُونِ اللهِ بِالنَقْصِ العَظِيمِ، وعَجْزِهَا عَنِ الخَلْقِ والرِّزْقِ والقُدْرَةِ]

**ومن براهين التوحيد:** ما يصف الله به الأوثان ومن عُبد من دونه من النقص العظيم، وأنَّها فاقدة للكمال، وربما كانت فاقدة أيضًا للأقوال والأفعال، وأنَّها لا تخلق ولا ترزق باعتراف عابديها، وليس لها مُلْك ولا شركة في الملك، وليس لها مظاهرة لله ولا معاونة بوجه من الوجوه، وليس الله محتاجًا إليها، ولا إلى غيرها، بل هو الغني الحميد.

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20)} [النحل]، ولا يملكون لهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا ينصرونهم ولا أنفسهم ينصرون، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6)} [الأحقاف]. {إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73]، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195)} [الأعراف: 194، 195]، {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} [يونس: 35]،{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)} [العنكبوت].

إلى غير ذلك من الصفات الناقصة التي وصف الله بها كلَّ ما عُبِد من دونه، وهي معلومة حتى عند العابدين لها، ولكنَّهم يزعمون الزعم الباطل أنَّهم يريدون أن تشفع لهم أو تقربهم إليه زلفى.

وهذا القصد الخبيث أعظم مُبعِد لهم عن الله، فإنَّه لا يُتقرب إليه إلا بما يحب، ولا يُتوسل إليه إلا بالإيمان والتوحيد الخالص، والأعمال الخالصة لوجهه. ومن تقرب إليه بالشرك لم يزددْ منه إلا بُعدًا، وبذلك قَطَع الصلة بينه وبين ربه؛ فاستحق الخلود في النار وحرَّم الله عليه الجنة.

[البرهان الرابع: بَيَانُ نَصْرِهِ لِلْرُّسُلِ وأَتْبَاعِهِمْ، وعُقُوبَتِهِ لِأَعْدَائِهِمْ]

**ومن براهين التوحيد:** أيامُه بين عباده، وإكرامه للرسل وأتباعهم الذين قاموا بتوحيده، وإنجائهم من الشرور والعقوبات، وإحلاله المَثُلات بالأمم المشركة بالله، المستكبرة عن عبادة الله، المكذبة لرسل الله لمَّا حذرهم وأنذرهم، وأقام عليهم الحجج المتنوعة والآيات المفصلة على توحيده وصدق رسله، فكذبوا؛ فأوقع بهم أنواع العقوبات المتنوعة، {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)} [العنكبوت].

ثم خاتمة ذلك ما نصر به خاتم رسله محمدًا صلى الله عليه وسلم حين بعثه بالتوحيد الخالص والنهي عن الشرك، فقاومه أهل الأرض الأقربين منهم والأبعدين، ومكروا في نصر باطلهم، وإبطال الحق الذي معه المَكرات العظيمة، فخذلهم الله ونصر نبيه وأتباعه النصر الذي لا مثيل له، إنَّ في ذلك لآية على أنَّ دين الله الذي هو التوحيد والإيمان هو الحق، وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل، وأنَّ رسوله هو الصادق الأمين، وأنَّ جميع من عاداه لفي أعظم الغيِّ والضلال والشقاء.

[البرهان الخامس: إِخْبَارُ القُرْآنِ عَنِ الغُيُوبِ المَاضِيَةِ وَالحَاضِرَةِ وَالمُسْتَقْبَلَةِ، وَوَقُوعُهَا كَمَا أَخْبَرَ، وَأَنَّهُ لا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إلَّا بِالوَحْيِ]

**ومن البراهين على التوحيد** وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو داخل في الإيمان بالله ورسوله، والإيمان بالغيب، ما قصَّه الله في كتابه من الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبَلة التي لا تزال تحدث شيئًا فشيئًا طِبق ما أخبر به القرآن.

فمن ذلك، ما أخبر به عن تفاصيل الوقائع الماضية في قَصص الرسل في أنفسهم، ومع أقوامهم من أتباعهم وأعدائهم تفصيلًا ليس لأحد طريق إلى تحصيله، إلا الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ونهاية ما عند خواصِّ أهل الكتاب من تلك التفاصيل نُتَفٌ وقِطَع لا يحصَّل منها قريبًا مما يحصل بالقرآن.

ولهذا يخبر في أثناء هذا القصص أنَّ إتيان رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم بها دليل على رسالته؛ كقوله بعدما ذكر قصة موسى مبسوطة، {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46)} [القصص].

أي أنَّه لا سبيل لك إلى معرفة هذه الأمور بتلقٍّ عن أحد، ولا وصول لذلك إلا من جهة الوحي الذي أوحاه إليه، وكذلك ذكر الله هذا المعنى في آخر قصة يوسف المطولة في قوله: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ} [يوسف: 102] الآية. وفي قصة مريم وزكريا: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران: 44].

فكلُّ هذا يدل أكبر دلالة على رسالة وصحة ما جاء به من التوحيد، حيث جاءتهم هذه الأمور المفصَّلة بطريقة لا سبيل إليها إلا بالوحي.

ومثل ذلك خبره عن الملائكة والملأ الأعلى، وقصة آدم وسجود الملائكة له بعد تلك المراجعات فقال: {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)} [ص].

[البرهان السادس: إِخْبَارُ القُرْآنِ عَنْ صِفَاتِ الرَّبِّ العَظِيمِ، وأَنَّهُ لا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إلَّا بِالوَحْيِ]

وأعظم من ذلك كلِّه وأجلُّ، إخبارُه صلى الله عليه وسلم عن الرب العظيم وقصُّه لصفاته العظيمة مفصلة، بحيث جاء هذا القرآن بما لم يأتِ به كتاب قبله. وأخبر عن الله أخبارًا عظيمة عجزت قُدَرُ الأولين والآخرين أن يأتوا بما يقاربها، أو بما ينقضها، أو ينقض بعضها.

فجميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، جميع ما فيها من الخبر عن الله فإنَّه في القرآن، وفي القرآن زيادات عظيمة وتوضيحات تدل أكبر دلالة على أنَّ من جاء به إمام الرسل وسيد الخلق، وأنَّ هذا القرآن مهيمن على ما قبله من الكتب، وأنَّ كلَّ حق قاله وتكلم به أحد من الخلق؛ فهو في ضمن القرآن.

**فإن قيل:** فكيف تجعلون هذا البرهان الذي هو الخبر عن الله وعن كماله ونعوت جلاله، من براهين رسالة محمد وأدلة التوحيد وأنتم في مقام التكلم مع الموافق والمخالف والمعترف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والمنكر لها، وذلك من أمور الغيب التي لا يعترف بها إلا كلُّ مؤمن، وأنتم تريدون جعله برهانًا يسلِّم بصحته حتى المخالفون المنكِرون لرسالته، إذا سلكوا طريق الإنصاف والاعتراف بالحقائق الثابتة التي يسلِّمها جميع العقلاء المعتبَرين.

**قيل في الجواب عن هذا الإيراد: هذا البرهان يتَّضح وينجلي بأمور:**

**منها:** أنَّ الذي جاء به رجل أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وقد نشأ بين أميين لم يجالس أحدًا من أهل العلم، ولم يدرس كتابًا، ولم يزل على هذه الحال حتى جاء بهذا الكتاب الذي معظمه هذه الإخبارات الجليلة المتناسبة المحكمة، فبمجرد النظر إلى هذه الحالة التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم وإتيانه بهذا الكتاب؛ برهان قوي يضطر إليه الناظر أنَّه حق، وما احتوى عليه حق، وأنَّه لا سبيل له إلى ذلك إلا بالوحي والرسالة.

**ثانياً:** أنَّه صدَّق جميع الكتب وجميع ما أخبرت به الرسل، فجميع ما في كتب الله من التوحيد والصفات، وما أخبرت به الرسل عن ذلك، فما جاء به محمد يصدق ذلك ويوافقه ويشهد له، مع ما هو عليه صلى الله عليه وسلم من الوصف المذكور.

**ثالثًا:** أنَّ هذه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي أخبر بها عن الله كلَّها متصادقة، يصدِّق بعضُها بعضًا، ويناسب بعضها بعضًا، حيث دلَّ كلُّ معنى منها على الكمال المطلق بكلِّ وجه وبكلِّ اعتبار، الذي لا كمال فوقه بل لا يمكن عقول العقلاء أن تتصوَّر معنى واحدًا من معاني تلك الأوصاف، فهذا أكبر دليل على أنَّها حق، وأنَّ من جاء بها هو رسول الله حقًّا.

**رابعـًا:** أنَّ آثارها ومتعلقاتِها في الوجود والخلق والأمـر مشهـودة محسوسة؛ فآثار ما أخبر به من العظمة والملك والسلطان، وآثار ما أخبر به من العلم المحيط والحكمة الواسعة، وآثار ما أخبر به من الرحمة والجود والكرم، وآثار ما أخبر به من إجابة الدعوات، وتفريج الكُرُبات، وإزالة الشِّدَّات، وآثار ما أخبر به من كمال القدرة، ونفوذ الإرادة وكمال التصرف والتدبير، إلى غير ذلك مما أخبر به عن الله، فإنَّ آثاره تلك في الوجود مشهودة لكلِّ أحد، لا ينكرها أو يتوقف فيها إلا مكابر، فهو يخبر صلى الله عليه وسلم عن غيب محكَم، يشاهد الخلقُ من آثاره ما يدلُّهم دلالة قاطعة على ذلك.

**خامسًا:** هذه النعوت العظيمة التي أخبر بها عن الله، لا يمكن التعبير عن آثار معرفتها في قلوب العارفين بها من التعظيم والإجلال الذي ليس له نظير، ومن الودِّ والسرور والابتهاج الذي لذَّات الدنيا بالنسبة إليه أقل من قطرة بالنسبة إلى البحر، وهم خلق لا يحصي عددهم إلا الذي خلقهم، وهم عِلْيَةُ الخلق، وخلاصة الوجود، وأكمل الناس أخلاقًا وآدابًا، وأرجحهم عقولًا وأصوبهم، إلا وقد اتفقوا على هذا الأمر العظيم ليس اتفاقًا علميًّا فحسب، بل هو اتفاق اعتقادي علميٌّ يقينيٌّ وجدانيٌّ ضروريٌّ.

فهذا الاتفاق الذي ليس له نظير، هو من آثار ما أخبر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه من الكمالات من أعظم البراهين على صدق رسالته، وصحة ما جاء به من التوحيد الخالص.

**فإن قلت:** قد يتفق طوائف من الخلق على بعض الأمور التي ليست بحق ويكثرون جدًا. وقد اتفق العقلاء على أنَّ ذلك ليس دليلًا على صوابهم إن لم يكن لهم بذلك برهان.

**فالجواب:** إنَّ الأمر كذلك، ولكن ما ذكرنا من اتفاق أهل المعرفة بالله لا يشبهه شيء من تواطئ الطوائف واتفاقها، كما ذكرنا أنَّه مبنيٌّ على العلم اليقيني والبرهان الوجداني، والآثار الجميلة الجليلة التي لا يمكن أن تقع خطأً، أو عن غير بصيرة، وهم بهذا الوصف الذي ذكرنا. ولهذا قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)} [آل عمران]. فذكر شهادة أولي البصائر من الأنبياء والعلماء الربانيين على التوحيد، وأنَّها من أعظم البراهين عليه.

[البرهان السابع: إِخْبَارُ القُرْآنِ عَنِ المَلائِكَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُ لا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إلَّا بِالوَحْيِ]

وكذلك أخبر عن الملائكة والجنة والنار، وتفاصيل ذلك بأمور يعلم أنَّه لا يمكن أن يأتي بها إلا نبي مرسل، موحى إليه من الله بذلك. فمعارف الخلق وعلومهم تقصر غاية القصور عن بيان بعض ذلك، ولكنَّها رحمة الله وهدايته لعباده بعثها على يد خاتم الرسل وأكملهم رسالة، وحظهم من هذه الرحمة بحسب نصيبهم من هذه الهداية.

[البرهان الثامن: إِخْبَارُ القُرْآنِ عَنِ الغُيُوبِ الحَاضِرَةِ والمُسْتَقْبَلَةِ الدَّالَةِ عَلَى صِدْقِهِ وَوُقُوعِهَا كَمَا أَخْبَرَ]

وأما الغيوب الحاضرة والمستقبلة الدال كلُّ واحد منها على صدقه وحقِّية ما جاء به، فكيف بجميعها، فكيف إذا انضمت إلى براهين رسالته التي لا تحصى أجناسها، فضلًا عن أفرادها.

فمن ذلك ما في القرآن من وعده لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يتم الله أمره وينصره، ويعلي دينه ويظهره على الدين كلِّه، ويخذل أعداءه ويجعلهم مغلوبين مقهورين أذلِّين.

وهذا كثير جدًّا مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)} [الصف]، {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: 8]، {وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3)} [الفتح]، {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: 39]، {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)} [آل عمران]، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: 36]، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)} [الأنفال]، إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر بها بهذه الأمور العظيمة والأوعاد الصادقة التي وقعت طبق ما أخبر الله به، فازداد بذلك المؤمنون إيمانًا. ولهذا يذكر تعالى نعمته في قوله تذكيرًا لعباده المؤمنين: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)} [الأنفال].

وكذلك قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)} [الأنفال] وقد فعل ذلك.

وقوله لرسوله والمؤمنين: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} الآية [الفتح: 20]، وقد فعل. وأخبر أنَّ صلح الحديبية فتح مبين، مع ما فيه من تلك الشروط التي كرهها أكثر المؤمنين، ثم تبين لكلِّ أحد بعد ذلك أنَّه فتح مبين، فيه من المصالح للإسلام والمسلمين ما لا يمكن إحصاؤه.

ومن ذلك قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [التوبة: 28] الآية، وقد وقع ذلك كلُّه.

وإخباره أنَّه سيتوب على كثير من أئمة الكفر، وينصر عباده عليهم كقوله: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [التوبة]، وقوله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [آل عمران: 128]، وقوله: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) } [الممتحنة] وقد فعل ذلك.

وقوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ} [البقرة: 142] وقد قالوا ذلك.

وقوله: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} [البقرة: 137]، {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}  
 [المائدة: 67]، {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: 36]، {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)} [الأنفال]، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (17)} [الطارق]، وقد أوقع بهم مصداق ذلك من الأخَذَات ما أوقع.

وقوله: {وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)} [الضحى] أي كلُّ حالة متأخِّرة من أحوالك خير لك من سابقتها، ومن تتبع سيرته وأحواله صلى الله عليه وسلم وجد ذلك عيانًا، كلُّ وقت خيرٌ مما قبله في العزِّ والتمكين وإقامة الدين، إلى أن قال له في آخر حياته: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

وقال تعالى: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم] وقد وقع ذلك كما أخبر.

وقال تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 227]، {وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 42]. وهذا وعيد بأنَّ عواقبهم ستكون وخيمة فوقع طبق ما أخبر.

وقوله: {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ (6)} [القلم] وقد أبصر كلُّ أحد أنَّهم هم المفتونون.

وقوله: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)} [الشرح]، {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: 7]، وقد يسَّر الله الأمور بعد عسرها، ووسعها بعد ضيقها وشِدَّتها.

وقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ِ} [النور: 55] الآيات، وقد فعل وله الحمد، {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)} [الأنبياء].

وقال تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} [الفتح: 16] وقد دُعوا لذلك في وقت أبي بكر وعمر والخلفاء والملوك الصالحين.

وقوله: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51)} [غافر]، {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ُ} [الروم: 47]، {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39)} [الحج].

وقوله: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ} [الفتح: 27] الآية.

وقوله: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ} [الفتح: 15] ([[29]](#footnote-29)) الآية.

وقوله: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ} [التوبة: 95]، وقد قالوا ما ذكر الله أنَّهم سيقولونه.

وقوله تعالى: {أمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45)} [القمر]، وقد وقع ذلك في بدر بعد هذا الكلام.

ومن ذلك قوله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)}.

وقوله: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11)} إلى قوله: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26)} [المدثر] الآيات. فأخبر عن أبي لهب وامرأته، وعن هذا الوحيد بِصَلْي النار، ومن لازِم ذلك بقاؤهم على كفرهم وتكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، فوقع وبقوا على ذلك حتى هلكوا.

وقوله: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)} [الحجر] فوَعَده بكفايته إياهم، فأوقع بهم العقوبات المتنوعة وهي معروفة بين أهل السير.

وقوله لمَّا ذكر مكر رؤساء الكفر: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11)} [ص]، وقوله: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)} [الزخرف].

وقوله في آيات التحدِّي: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ} [البقرة: 24] فأخبر أنَّهم لن يفعلوا في المستقبل فلم يفعلوا، وكذلك في تحدي اليهود: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} [البقرة: 94، 95] الآية. فلم يقع منهم التمني في وقت التحدي الذي دلَّ عليه السياق.

وقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)} [النصر]، فأخبره بعدةِ أشياء قبل وقوعها: بمجيء نصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وأنَّه عند ذلك قد حان أجلُك وقَرُبت وفاتك، فاختمْ حياتك الشريفة بالتسبيح والحمد والاستغفار.

وقوله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)} أي مقطوع الذِّكر الجميل، مقطوع من الخير ووقع ذلك.

وقوله: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52)} [التوبة]، {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)} [الإسراء]، {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80)} [الإسراء] وقد فعل تعالى ذلك.

وقوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)} [الإسراء]، وهذا خبر منطبق على مخبَره في جميع الأوقات.

وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)} [الحجر]، وهذا شامل لحفظ ألفاظه ومعانيه، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلْفه {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وحفظه مشاهَد محسوس.

وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: 54] وقد فعل ذلك.

[البرهان التاسع: إِخْبَارُ القُرْآنِ بِخَلْقِ مَا لَا يَعْلَمُهُ العِبَادُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، حَيْثُ لَا يَحْدُثُ حَادِثٌ جَلِيلٌ أَوْ حَقِيرٌ، أَوْ كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ التَّصْرِيحُ بِهِ أَوِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ]

وقوله: {وَآَيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42)} [يس]، {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)} [النحل].

وهذا شامل لخَلق ما لا يعلمه العباد في تلك الأوقات الماضية، مما لم يشاهدوا له نظيرًا، فيدخل فيه جميع المختَرَعات التي حدثت والتي تحدث إلى يوم القيامة؛ من المراكب البرِّية والبحرية والهوائية، وما خلَقه وعلَّمه الإنسان بواسطة الكيمياء والكهرُباء من المخترعات المدهشة، ونقل الأصوات والأنوار من الأماكن الشاسعة في أسرع وقت.

وهذا من الآيات والبراهين التي دلَّ عليها القرآن، حيث لا يحدث حادث جليل أو حقير، كبير أو صغير، إلا وفي القرآن تصريح به، أو إدخاله في عموم أو مفهوم، وأنَّه لم يأت ولن يأتي علم صحيح ولا حادث حقيقي ينقض شيئًا من أدلة القرآن، فإنَّه تنزيل من حكيم محيط علمه بكلِّ شيء، نفذت إرادتُه ومشيئته في كلِّ شيء.

وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65]، وقد وقعت القنابل المهلِكة والديناميت الناسف لما باشره أو قرب منه، والدخان الخانق وما أشبه ذلك.

وهذا ينطبق على موصوفه غاية الانطباق، وفيه التنبيه على حدوث الآلات المقرِّبة للمواصلات، كما بسطنا ذلك في مواضع أخر([[30]](#footnote-30)).

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)} [الدخان]. وقد ذكر الله التنادي بين أهل الجنة وأهل النار، مع البُعد المفرط والترَّائي، وقد أظهرت المكتشفات الكهربائية والكيماوية مصداق ذلك، بعدما كان كثير من المكذبين يسخرون بإخبارات الرسل في هذا الباب ويستبعدونها، فأظهر الله في هذه الأوقات من البراهين ما يكذب المكذبين الجاحدين.

وهذا من مصداق قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53] فلم يزل يُري عباده ويُحدِث لهم من البراهين الدالة على صدق الرسل، وأنَّ ما جاؤوا به هو الحق، وما خالفه هو الباطل. ولكن أبى المباهِتون المكابرون إلا عتوًّا ونفورًا.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد: 25]، وقوله: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} [العلق]، فهذه المنافع التي علَّمها الله الإنسان، فلم يزل يفرِّعها الإنسان ويرقِّيها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، وهو جادٌّ في طريقه في تنمية الصناعات والمخترعات. وذلك كلُّه داخل في تعليم الله له، وإلهامه وإيجاده تبارك وتعالى المنافع والقوى في مخلوقاته.

فالله تعالى هو الذي أوجد فيها القوى الصالحة لإيجاد المخترعات النافعة منها، والله هو الذي علم الإنسان ذلك، وذلك من آياته في الآفاق، وفي النفوس الدالة على أنَّ ما جاء به الرسول حق، وإن لم يهتدِ لذلك أكثر الخلق ضلالًّا عن الأدلة الحقيقية، أو عن وجه دلالتها، أو قيام عقائد باطلة صارفة وصادفة عن الحق.

[البرهان العاشر: إِخْبَارُ القُرْآنِ أَنَّ سُنَّتَهُ فِي خَلْقِهِ فِي نِظَامِ العَالَمِ، وَفِي الأَسْبِابِ وَالمُسَبِّبَاتِ، وَالجَزَاءِ بِالحُسْنَى وَبالسُوأَى؛ وَاحِدَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وهِيَ كُلُّهَا جَارِيَةٌ عَلَى مُقْتَضَى الحِكْمَةِ التِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا]

**ومن ذلك:** إخباره أنَّ سنَّته في خَليقته في نظام العالم، وفي الأسباب والمسببات، والجزاء بالحسنى وبالسوأى واحدة لا تتغير ولا تتبدل، وهي كلُّها جارية على مقتضى الحكمة التي يحمد عليها، وهذا مشاهَد شرعًا وقدَرًا.

وقد يُري عباده تعالى أنَّه يغيِّر بعض المخلوقات عن نظامها المعتاد ليُعرِّف العباد أنَّه المتفرد بالقدرة والتصرف، وأنَّ جميع الحوادث خاضعة لمشيئته وقدرته، وأنَّ ما أَخبرت به الرسل من أمور الغيب كلِّها حقٌّ، ولكنْ أَبََى الجاحدون إلا أن ينكروا ما كان الله أخبر به على ألسنة رسله مما كانوا الآن يعقلون هم نظيره، فانقلب عليهم الأمر وقلب الله قلوبهم كما لم يؤمنوا به لمَّا جاءهم، واستكبروا بعقولهم على الحق.

[البرهان الحادي عشر: إِخْبَارُ القُرْآنِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى صَلاحِ البَشَرِ وَسَعَادَتِهِمْ وَفَلاحِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ إلَّا بِاتِّبَاعِ هَذَا الدِّينِ وَالأَخْذِ بِإِرْشَادِهِ وَهِدَايَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ خَالَفُوا ذَلِكَ حَصَلَ لَهُمْ الفَسَادُ وَالنَّقْصُ وَإِنْ حَصَّلُوا مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا مَا حَصَّلُوا]

ومن أعظم علوم الغيب التي أخبر بها القرآن وأبداها وأعادها، أنَّه أخبر أنَّه لا سبيل إلى صلاح البشر وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة إلا باتباع هذا الدين والأخذ بإرشاده وهدايته. وهذا أمر لا يَستريب فيه أحدٌ، فإنَّ هذه الأمة في عصر الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين لمَّا كانوا مهتدين بعلمه وإرشاده وتربيته الخاصة والعامة؛ صلَحت دنياهم كما صلح دينهم، وصاروا المثل الأعلى في القوة والعزة والعدل والرحمة وجميع الكمالات المستعدِّ لها البشر.

ثم لمَّا ضيعوا هدايته العلمية والعملية؛ تحلَّلوا وانحلُّوا، ولم يزالوا في نقص وضعف وذِلة حتى يراجعوا دينهم، ثم في مقابلة ذلك من العجب العجيب الذي ليس بغريب؛ ارتقاء الأمم الأخرى في هذه الأوقات في الصناعات المدهشة، والاختراعات الخارقة المعجِزة والقوة الضخمة أنَّهم لم يزدادوا بها إلا شقاءً، حتى صارت حضارتهم التي يعجبون بها ويخضع لها غيرهم مهدَّدةً كلَّ وقت بالتدمير العام.

وجميع ساستهم وعلمائهم في حيرة عظيمة من تلافي هذا الخطر، ولن يُتلافى إلا باتباع ما جاء به القرآن، والاسترشاد بهدي محمد صلى الله عليه وسلم، الجامع بين العلم والعمل والعدل، والرحمة والحكمة، ومصلحة الروح والجسد، وإصلاح الدين والدنيا والآخرة.

فالعلوم المادية والقوة المادية المحضة ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، حيث لم تُبنَ على الدين الحق.

وانظر بعينك ترى العجائب، فهذا الارتقاء المادي الذي لم يشاهِد العالم له نظيرًا إذ خلا من روح الدين، هو الحبوط والهبوط الحقيقي، والدنيا الآن كلُّها في خطر مزعج لا يعلم مدى ضرره وفظائعه إلا الله تعالى([[31]](#footnote-31)).

[البرهان الثاني عشر: إِخْبَارُ القُرْآنِ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهَذِهِ الآَيَاتِ إلَّا أَصْحَابُ العُقُولِ وَالنُّهَى، فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ مَنْ قَدَحَ فِي هَذِهِ الآَيَاتِ فَلِضَعْفِ عَقْلِهِ]

**ومن براهينه** التي وقعت مطابِقة للواقع والحسِّ والتجارب، أنَّه أخبر أنَّه آيات لأولي الألباب، لقوم يعقلون، ولأولي النُّهَى. وهي آيات كثيرة تبين أنَّ أهل العقول وأرباب البصائر، بقدر ما أُعطُوا من هذه النعمة الكبرى من العقل الرصين، واللُّب الكامل، والرأي الصائب؛ يكون حظهم من هدايته وإرشاداته والانتفاع به.

فتأملْ هُداة هذه الأمة وأئمتها ومرشديها، هل تجد أكمل منهم عقولًا وألبابًا وأصوب آراءً. وتأمل هل توجد مسألة أصولية أو فروعية في هذا الدين قد شهِد أحد من العقلاء المعتبرين على فسادها أو نقصها، وكلُّ من قدح في شيء منها بيِّنٍ بالبراهين المعترَف بها بين العقلاء؛ أن الخلل في عقله ولُبِّه وفهمه، أو في قصده وإرادته.

وإذا أردتَ تفصيل هذه الجملة العظيمة؛ فاقرأ (كتاب العقل والنقل) لشيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية، وكيف برهن بالبراهين العقلية على ضعف عقول القادحين في شيء من هذا الدين، وأنَّ ما زعموه عقلياتٍ؛ جهلياتٌ وخرافاتٌ، وقد تحدى الباري جميع الناس أن يأتوا بمثله أو ببعضه أو بعَشر سور أو بسورة من مثله، وهذا هو عين هذه المسألة.

[البرهان الثالث عشر: إِخْبَارُ اللهِ بِإِحْكَامِهِ لِكِتَابِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْمُرُ إلَّا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَصَلاحٍ، وَلَا يَنْهَى إلَّا عَنْ المُنْكَرِ وَالفَسَادِ، ولَا يُمْكِنُ لِأَيِّ أَحَدٍ كَائِنٍ مَنْ كَانَ أَنْ يَأْتِيَ بِخِلافِ ذَلِكَ]

ومن ذلك ما ذكر الله من إحْكامِهِ لكتابه، وأنَّه لا يأمر إلا بكلِّ معروف وصلاح، ولا ينهى إلا عن المنكر والفساد، وقد استمرت له هذه الأوصاف الجليلة في كلِّ وقت وزمان، وجرت إرشاداته الجميلة صالحة لجميع الأوقات والأحوال والأشخاص.

فليُرِنا المنكرون حكمًا واحدًا من أحكامه مخالفًا لهذا الوصف الذي أخبر به حين إنزاله، وتحقَّق تحققًا لا ينكره إلا مباهِت أو مقلِّد له، فهو الذي يَصلُح لكلِّ وقت، ولا يُصلِح الأممَ إصلاحًا حقيقيًّا سواه. وقد أكمل الله به الدين، وأتمَّ به النعمة، وقد تحقق هذا بتكميله العقائد والأخلاق والأعمال والأحوال كلِّها، والدنيا والدين، وكلُّ قصورٍ وتقصيرٍ حاصلٌ في كلِّ وقت؛ فَلِفقده أو نقصه.

وهذه الجمل والأصول العظيمة نتحدى بها جميع البشر، وأنَّه جاء بجميع المحاسن والمصالح الظاهرة والباطنة، ونهى عن القبائح والمضار الظاهرة والباطنة، فليأتوا بمثال واحد صحيح مخالف لهذه الأصول التي أسَّسها القرآن وجعلها قواعد يهدي بها البشر على توالي الزمان.

هذا إشارة لطيفة في إخبار القرآن عن أمور محسوسة مشاهدة بالأبصار قد وقعت طبق ما أخبر به.

[البرهان الرابع عشر: إِخْبَارُ القُرْآنِ بِهِدَايَتِهِ لِلْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ وَالأَخْلاقِ، وَوُجُودُ مُخْبَرِهِ كَمَا وَصَفَ]

أمَّا إخباره بما تفعله هداية القرآن في القلوب والأرواح والأخلاق، ووجود مخبره كما وصف فأكثر من أن يذكر وأعظم من أن ينكر، ويعرفه أولوا الألباب والبصائر والاهتداء التام بهدايته العلمية والعملية، وهم أزكى الناس وأعدل الخلق شهادة، وشهادتهم عن علم ويقين ووجدان وحق يقين.

فمن ذلك إخباره أنَّه يهدي بكتابه من اتَّبع رضوانه سبل السلام، وقال: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69] فمن جمع بين هذين الوصفين وهما الاجتهاد التام، وبذل المجهود مع حسن القصد لطلب رضوان الله؛ هداه السبيل الموصلة إليه، وإلى دار كرامته. وحصولُ الهداية العلمية وهي العلم النافع، والهداية الفعلية هداية التوفيق لاتباع الحق لازمةٌ للاجتهاد وحسن القصد لا تتخلف عنهما، فمن عُدمت هدايته أو ضعفت؛ فلفقدهما أو فقد أحدهما أو ضعفهما.

وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)} [النحل]، وهذا مشاهد لأهل البصائر.

أنَّ مَنْ جمع بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح ـ وهو ما يحبه الله ويرضاه ـ أنَّ الله سيحييه في هذه الدار حياة طيبة. وأصل الحياة الطيبة؛ طِيب القلب، وراحته وسروره، والقناعة والرضى عن الله، فلو كان المؤمن الصادق في أضيق عيش لكانت هذه الحياة الطيبة حاصلة له بوعد الله الصادق الذي لا يخلف الميعاد.

وقال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)} [الرعد] وحصول طمأنينة قلوب المؤمنين الصادقين بذكر اللهِ والأُنسِ به وعبادتِهِ أمرٌ لا يمتري فيه أحد من أهل الذوق والوجْد.

وَمَا يجده أهل الإحسان الصادقون من ذوق حلاوة الإيمان، وحقائق اليقين والأُنس بذكر الله، والطمأنينة به، والأحوالِ الزكية والشواهد المَرْضية، على ما أخبر به الرسول؛ أجلُّ وأعظم من كثير من البراهين الحسية، فإنَّهم وصلوا في هذه الأمور إلى حق اليقين الذي هو أعلى مراتب اليقين والحق.

وقال تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: 11]، فقد تكفَّل الله بهداية القلوب لكلِّ مؤمن صادق الإيمان، وإنَّما يكون مؤمنًا حقًا إذا حقق أصول الإيمان، وكان إيمانه بالمأمورات يطلب منه امتثالها، وبالمنهيات يقتضي خوفه تركها، وإيمانه بالقضاء والقدر يعلم أن المصائب من عند الله العزيز الحكيم الرحيم، فيرضى بذلك ويسلِّم، وهذا أمر معلوم لأهل الإيمان الصحيح.

[البرهان الخامس عشر: جَمِيعُ مَا ذُكِرَ فِي القُرْآنِ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَى الأَخْلاقِ الجَمِيلَةِ الحَمِيدَةِ وَالأَمْرِ بِهَا، ونَهْيِهِ عَنْ الأَخْلاقِ الرَّذِيلَةِ]

**ومن ذلك** جميع ما نذكره في دلالة القرآن على الأخلاق الجميلة الحميدة والأمر بها، ونهيه عن الأخلاق الرذيلة. فهذا من براهين التوحيد والرسالة وصحة جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. انتهى

والله أعلم وصلَّى وسلَّم على نبينا محمد

1. () النسخة المعتمدة هي التي بتحقيق الشيخ عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، ط3، والتعليقات المذكورة هي من تعليقات الشيخ عبد الرزاق. [↑](#footnote-ref-1)
2. () قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62)) [القصص]. [↑](#footnote-ref-2)
3. () قال تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61)) [القصص]. [↑](#footnote-ref-3)
4. () قال تعالى: (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)) [النبأ]. [↑](#footnote-ref-4)
5. () قال تعالى: (وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)) [عبس]. [↑](#footnote-ref-5)
6. () قال تعالى: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)) [الشعراء]. [↑](#footnote-ref-6)
7. () قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)) [غافر]. [↑](#footnote-ref-7)
8. () قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14)) [الأنعام]. [↑](#footnote-ref-8)
9. () قال تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88)) [المؤمنون]. [↑](#footnote-ref-9)
10. () قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)) [فاطر]. [↑](#footnote-ref-10)
11. () قال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)) [لقمان]. [↑](#footnote-ref-11)
12. () قال تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)) [إبراهيم]. [↑](#footnote-ref-12)
13. () قال تعالى: (وهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54)) [الفرقان]. [↑](#footnote-ref-13)
14. () قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)) [الحجرات]. [↑](#footnote-ref-14)
15. () قال تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23)) [الملك]. [↑](#footnote-ref-15)
16. () قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97)) [الأنعام]. [↑](#footnote-ref-16)
17. () قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)) [آل عمران]. [↑](#footnote-ref-17)
18. () قال تعالى: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)) [البقرة]. [↑](#footnote-ref-18)
19. () قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)) [الروم]. [↑](#footnote-ref-19)
20. () قال تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)) [النحل]. [↑](#footnote-ref-20)
21. () قال تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)) [النحل]. [↑](#footnote-ref-21)
22. () قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)) [النحل]. [↑](#footnote-ref-22)
23. () قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80)) [النحل]. [↑](#footnote-ref-23)
24. () قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)) [النحل]. [↑](#footnote-ref-24)
25. () قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)) [الأعراف]. [↑](#footnote-ref-25)
26. () قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)) [البقرة]. [↑](#footnote-ref-26)
27. () قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)) [الحجرات]. [↑](#footnote-ref-27)
28. () قال تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)) [التوبة]. [↑](#footnote-ref-28)
29. () في الأصل {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ} الآية، والصواب المثبت، والشاهد من الآية هو قوله تعالى: {كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} حيث إنَّ فيها ذكرَ وعد الله السابق لنبيه صلَّى الله عليه وسلَّم بأن تكون غنائمُ خيبر خاصة بمن شهد معه الحديبية. [↑](#footnote-ref-29)
30. () نظر كتاب المصنف «الدلائل القرآنية في أنَّ العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي». [↑](#footnote-ref-30)
31. () ولو رأى ـ رحمه الله ـ وقتنا هذا فما عساه قائل؟! نسأل الله العافية واللطف. [↑](#footnote-ref-31)